الأدب الإسلامي المقارن .. حسين مجيب المصري أنموذجًا

أ. أسماء خمخام

تأسيس:

اعترف الأدب المقارن في العديد من المناسبات بعالمية آداب الشعوب الإسلامية، وغيرها من آداب شعوب العالم بأسره، وعلى الرّغم من الاختلاف والتّباين بين النّاس، فإنّ الأدب المقارن سعى بحفاوة واهتمام بالغين، لبناء جسور التّفاعل والحوارية بين الآداب القومية العالمية ذات الهوية الإسلامية، بحكم علاقات الأخذ والعطاء، الاتصال والاستمرارية فيما بينها، ابتغاء استكناه وحدة الجوهر الإسلامي الإنساني، بيد أنّ الأدب المقارن يواجه مطلبًا هامًّا ومُلحًّا مفاده؛ التّركيز على تفاعل تلك الآداب التي تظلّ شاهدة على ميلاد الأمّة الإسلامية، شريطة الحفاظ على مقوّماتها، من دون تشويه معتقداتها الفكرية والحضارية، لذا وفي دعوة مفتوحة لأدباء الأمة ونقّادها ومفكّريها لتعزيز سبل تخصيب الحوار وإثراءه حول حاجة الأدب من الجهد الإسلامي النّاقد، تطلّع المقارنون العرب إخضاع دراساتهم وأبحاثهم في مقاربة الآداب ذات المنشأ الإسلامي تحت لواء الأدب الإسلامي المقارن، في محاولة لإبراز علاقات التّأثير والتّأثّر بين تلك المُبدعات الأدبية والفنيّة عند المسلمين، وشقّ أسقفها للاطلاع على دواخلها ومكنوناتها الجمالية والثقافية، من منطلق أنّ الإسلام "وحّد بين قلوبهم، وأقام بينهم رابطة فكرية أقوى من أي رابطة أخرى، وأذاب قدرًا كبيرًا من التباين الفكري الذي يباعد بين الجماعات، ووحّد مصادر ثقافتهم الأساسية، وبالتّالي فإنّ ردّ أفعالهم تجاه مشكلات الحياة يجيء متقاربًا إن لم يكن،واحدًا."(i)

وهذا يحيلنا إلى أنّ الأدب الإسلامي هو الأدب "الذي أبدعه مسلمون أيّان كانوا، وأيًّا كانت لغتهم."(٢) وبهذا يمكن النّظر إلى النتاجات الأدبية للشعوب والبلدان التي غمرها نور الإسلام فتوارت خلف إبداعاتها مظاهره، على أنّها آداب إسلامية، وحسبنا هنا أن ننفي اعتناء الأدب الإسلامي المقارن بما كتبه العرب حول قضايا إسلامية معينة، بل إنّه يصبّ كل اهتمامه حول نتاج الشعوب المسلمة من آداب وفنون، من غير التركيز على لغة بعينها، أو الانحياز لجغرافيا على حساب أخرى، كون أنّ الإسلام "انتشر في مناطق مترامية الأطراف، تختلف مناخًا وأعراقًا، ويتباين أهلوها لونًا وحضارةً."(٣) وتضعنا إشكالية التّسمية "الأدب الإسلامي" أمام تلك المسميّات التي شاعت في مختلف الحقول المعرفية؛ كالطّب الإسلامي، العلم الإسلامي والكيمياء الإسلامية، التي تعدّ في نظر الدّكتور الطّاهر أحمد مكيّ "تسمية خاطئة؛ ولا مكان لها، إلا إذا أردنا التّأريخ لهذه العلوم، فكلّ ما شأنه العقل ويتّخذ مناهجه من التّجريب والاستقراء لا يختلف تطبيقًا بسبب الدّين أو العرف أو الوطن، ولكن: هناك العالم المسلم، والطّبيب المسلم، والمهندس المسلم، وغيرهم دون شك، أي؛ الإنسان الذي يمارس ما عرف من علم، فيرعى قواعد الإسلام خلقًا وسلوكًا، غير أنّ الأمر فيما يتّصل بالأدب مختلف تمامًا لأنّ الإبداع مصدره الوجدان، وهو يتأثّر وينفعل بقضايا في مقدّمتها الدّين."(٤) وعليه يقدّم لنا الأدب الإسلامي المقارن "ملامح صادقة عن الشعوب المختلفة التي اتخذت الإسلام دينا، فنرى كيف تكون نظرتها للشيء الواحد ونضع يدنا على الخصائص المشتركة بينها، فنقوّي مجالات التّلاقي، ونذيب عوامل الفرقة."(٥)

في الواقع يشهد البحث في الأدب الإسلامي المقارن، عبوسًا نقديًّا مجحفًا، ذلك لأنّ معرفتنا بآداب الشعوب الإسلامية قليلة وشحيحة جدًّا "فنحن لا نعرف شيئًا عن تاريخ إيران، أو أفغانستان أو باكستان أو إندونيسيا أو النيجر، أو نيجيريا، أو زنجبار، أو غينيا، أو تركيا وكلها دول إسلامية، وغيرها كثير، أمّا آدابها فلا نعرف منها إلاّ قشورًا."(٦) والحاصل تأسيسًا على هذا الطّرح، أنّ هذا العبوس المؤسف في وجه نتاج الشعوب ذات الهوية الإسلامية؛ فرض ستارًا من العزلة بينها، ما أدّى إلى تثبيط وعزل المشاعر

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

الإسلامية أيضًا، إلاّ أنّ الأدب الإسلامي المقارن، لم ينثن عزمه في توحيد تلك الآداب وتخليصها من قيد المكان والزّمان واللغة، فحاول ربط الشعور الإسلامي بأكمله بين شعوبه، ومن الجهود النّقدية التي احتفت بهذا الحقل المعرفي، وحاولت تقديم إطلالة واعية على آداب الشعوب المسلمة، وفتح أعين القرّاء لإدراك الحس المشترك بين آدابها، النّاقد حسين مجيب المصري، الذي استغرق جل مشروعه النّقدي وهو يحمل على عاتقه مسؤولية البحث والتّنقيب عن المعالم الثقافية والجمالية التي تدور في فلك آداب الشعوب المسلمة، بغية إضفاء أبعادًا أكثر عمقًا وشمولية، يركن إليها الدّرس الإسلامي المقارن، ويطمئن إليها المتلقي.

حسين مجيب المصري وعلى امتداد رحلته الطّويلة، صاحبه هاجس استنطاق آداب الشعوب الإسلامية خاصّة الشرقية منها، ونعني بها الآداب التركية والفارسية والأوردية، ولمّا كان البحث في آداب هذه الشّعوب ضربًا من المستحيل، نظرًا لمعيقات اللغة والمسافة وجب لنا أن نصف رحلته هذه بأنّها رحلة استكشافية جريئة وثمينة، فقد استطاع ناقدنا بموجبها أن ينفذ إلى أعماق هذه الشعوب ويتحرّى نتاجها الأدبي، لدراسة الظّواهر التّاريخية المختلفة التي مرّت بها، وتسليط الضوء على تحولاتها الاجتماعية، ومن ثمّ الإحاطة بمسارها النّفسي والوجداني.

ويستوقفنا في هذه الورقة كتابه "غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية" الذي يمثّل ثمرة دراسة جادّة ورصينة، أفنى النّاقد سنين طوال في العكوف عليها وتلمسها وتتبعها، فكان له النصيب الوسيع لمكاشفة إحدى الظواهر التّاريخية التي شهدها العالم الإسلامي أجمع ألا وهي الغزوة؛ تلك الملاحم البطولية التي قام بها المسلمون من أجل نصرة الإسلام، ونظرًا لتشعب القضايا التي يطرحها الكتاب ستقتصر هذه الورقة على مناقشة أهمها، ويتعلّق الأمر بمدى مواكبة الشّعر العربي والتّركي والأوردي لهذه الواقعة التّاريخية (الغزوة) وتحديدًا غزوة بدر المباركة، وإنزالها منزلتها وإجراء ما لها من صفات وما عليها فيما نظم عنها شعراء البلاد الإسلامية، تمهيدًا لدراستها دراسة مقارنة، وهذا عين ما تنتهي إليه القيمة المعرفية والنّقدية للكتاب.

- في شعر المغازي:

لا يُنكر فضل الشّعر في الدّفاع عن حياض الدّعوة الإسلامية، ووقوفه في وجه الأعداء ومنافحة الخصوم شاحذًا همم المسلمين، مستثيرًا وجدانهم، موثّقًا وشاهدًا حيًّا على مختلف الوقائع والغزوات التي خاضها المسلمون ضد المشركين تحت لِواء الإسلام، وقد شكّلت غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بؤرة يصدح في فلكها صوت الشعراء الذين عقلوا النيات وعقدوا العزم على نصرة الحق، ويأتي حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي روته عائشة –رضي الله عنها- مؤكّدًا على تأثير الشعر في مواجهة العدو، يقول عليه الصلاة والسلام "اهجوا قريشًا فإنّه أشدّ عليها من رشق النبل، فأرسل إلى ابن رواحة فقال: اهجهم فهجاهم فلم يُرضِ، فأرسل إلى كعب بن مالك، ثمّ إلى حسان بن ثابت، فلمّا دخل حسان قال: قد آن لكم أن تُرسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه، ثم أدلع لسانه، فجعل يحرّكه ثمّ قال: والذي بعثك بالحق لأفرينّهم فري الأديم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم : لا تعجل فإنّ أبا بكر أعلم قريش بأنسابها، وإنّ لي فيهم نسبًا حتّى يلخّص لك نسبي، فأتاه حسان ثم رجع فقال: يا رسول الله لقد لخّص لي نسبك، والذي بعثك بالحق لأسلنّك منهم كما تُسلّ الشعرة من العجين." قالت عائشة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: "لقد هجاهم حسّان فشفى واشتفى."(٧) وهذا من قوله صلى الله عليه وسلّم قاطع ناصع البرهان على استحسانه شعر الغزوات، وفيه من التّأكيد على أنّ هذا الشّعر نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله، وهذا ما لا تمسّ الحاجة فيه إلى اختلاف أو تعارض، أمّا في ما يتعلّق بحدّ الغزوة يلحظ الدكتور الناقد حسين مجيب المصري أنّ المؤرخين وأصحاب السير لم يجمعوا على كلمة في عدد غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، إلاّ أنّ " صاحب (حبيب السير) (×) وابن عبد ربّه اتّفقا على تعريف الغزوة التي يحضرها النّبيّ صلى الله عليه وسلم بنفسه ورأوها تسعا، ونتظر بعد ذلك في معجم أوردي لنجده يعرّف الغزوة؛ بأنّها محاربة المشركين، وفيها يشترك النّبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، وفي معجم تركي أنّ حدّ الغزوة ؛ حربٌ من أجل الدّين، والحرب لتوطيد دعائم الإسلام ونشره في غير المسلمين. وغزوات أي؛ أن يكون الإنسان محاربًا جيّدًا من أجل الإسلام، وفي معجم فارسي أنّ الغزوة هي الحرب مع عدو الدّين وفي موسوعة فارسية أنّ الغازي هو قاتل الكفّار."(٨)

لكن من الواضح أنّ في بعض ما ورد ذكره من مسلّمات نظرية فيما يتعلّق بحدّ الغزوة - حسب حسين مجيب المصري- بحاجة إلى إعادة ترتيب ونظر، فالقول بأنّ الغزوة هي محاربة المشركين دون معية النّبي صلّى الله عليه وسلّم، خطأ لا يميل إليه، كما أنّه لا يوافق القول الذي يزعم أنّها محاربة الكفار سواءٌ حضرها النبي صلى الله عليه وسلم أم لم يحضرها، ولم يتوان في إظهار اعتراضه عن إطلاق مصطلح الغزوة على المعارك والفتوحات التي يخوضها الملوك والسلاطين من المسلمين، من أجل إدراك غنائم الفتوحات ومناقبها، وليس في سبيل درء شرّ وأذى المشركين عن المسلمين ولا في سبيل الله، والحاصل تأسيسًا على هذا الفهم، ينظر النّاقد نظرة أخيرة وحاسمة في حدّ الغزوة بالاستعانة بموسوعة "كشاف اصطلاحات العلوم والفنون" للتّهانوي(××) فيقول: "الغزو: هو قصد القتال مع العدو (لغة)، وشرعا: خص بقتال الكفار؛ وفي اصطلاح أهل السير: هو الجيش القاصد لقتال الكفار الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم فيه، وأمّا الجيش الذي لم يكن فيه صلى الله عليه وسلم فيسمّى سرية وبعثا."(٩) ويأتي قوله هذا فصل خطاب فيما قيل وشاع عن معنى الغزوة.

ويبدو أنّ النّية التي عقدها النّاقد في دراسته هذه كانت القبض على مجريات اللقاء الحضاري والثقافي الإسلامي بين الشعوب المسلمة وما توثّقه عين آدابهم بخصوص كل ما يتعلق بسيرته عليه الصلاة والسلام لاسيما غزواته "فلقد اجتمع شعراء الشعوب الإسلامية على صنيع واحد، هو قولهم شعرًا فيها، وتباينوا في كيفية تناولهم للموضوع، ورؤيتهم إليها فيما اتّسمت به من خصائص، وأخرجوا فيها كتبًا قائمة بنفسها أو قالوا أشعارًا تفرّقت في أشتات الكتب، ولا شكّ أنّ ما صنعوا، أمّارة على أنّ الوحدة الإسلامية عقدت بينهم من الوشائج ما جعلهم يتشابهون في عموم ويختلفون في خصوص، وذلك منهم يجعل نظرة التّأمّل في شعرهم مادّة سخيّة للدراسة المقارنة في شعر إسلامي أعرق ما يكون في إسلاميته."(١٠) ويخصّ النّاقد هذا الشعر بجملة من المواصفات جرى ذكرها في سياق حديثه عن كون شعر المغازي أقرب ما يكون تأريخًا لهذه الغزوات، فالوقائع التي يضمها هذا النّوع من الشّعر ليس في الإمكان فصلها بأي حال من الأحوال عن الواقع التّاريخي، وأما صفاته "ليس ذلك الشعر الذي نظمه الشّعراء يحاولون فيه البلاغة، ويبالغون ما شاء الله أن يبالغوا، أو يطوّعوا شعرهم لغرض خاص بهم وحدهم، فالشعراء الذين قالوا شعر الغزوات قالوا ما قالوا من وحي البديهة متأثّرين بما رأوا وسمعوا في تلك الغزوات، وما أرادوا إلاّ تعبيرا عمّا ماجت به نفوسهم وتأثّرت به مشاعرهم، ولذلك كان شعرهم خلوا من التّنميق والتّزويق، وخلا مما يجريه الشّاعر مجرى الواقع وهو أبعد ما يكون عنه."(١١)

أوّلا: غزوة بدر في الشعر العربي والتركي والأوردي القديم:

أ- في الشعر العربي القديم:

لا يخفى على ذي علم أنّ الله عز وجل أذن للمسلمين أن يصرفوا أذى قريش ويتّقوا بأس المعتدين منهم ويذودوا عن شوكة الإسلام فدارت "في بدر رحى معركة طاحنة بين فئتين غير متكافئتين؛ فئة قليلة مؤمنة، وفئة كثيرة كافرة أين التقى الظّلام بالنّور، والكفر بالإيمان، والتقت الجاهلية بالإسلام."(١٢) إنّما كانت تدور رحى هذه الغزوة بوحي إلهي تدبيري وجّه فيها المحاربينَ من المسلمين، فأيّدهم الله بأزيد من ﴿ألف من الملائكة مردفين﴾(١٣) وكانت يد الله فوق أيدي المشركين، فدرء عنهم رجز الكفر والفساد، إذ كان النّصر حليفهم، و﴿كانت كلمة الله هي العليا﴾ (١٤) وللباطل البوار والخسران. وأمّا موقف الشّعر العربي القديم من هذه الغزوة، فقد كان سندًا تاريخيًّا يوثّق انتصار العقيدة في غزوة بدر، فتكرّمت القرائح وجادت، بما اكتمنت به النّفوس، فكان من حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة -رضوان الله عليهم أجمعين- أن يرفعوا لواء الكلمة في وجه أعداء الرسول عليه الصّلاة والسلام، فشفوا واشتفوا، وأتمّوا المهمة على أكمل وجه، "فكان كعب بن مالك يخوّف المشركين الحرب، وحسّان يعيرهم بأنسابهم، أمّا عبد الله بن رواحة ينعى عليهم كفرهم."(١٥) ويسوق النّاقد حسين مجيب المصري في مؤلفه هذا نماذج شتّى تصف غزوة بدر، نأتي على ذكر بعضها، كون المقام لا يتّسع للإحاطة بها جمعًا، فيصوّر حسّان بن ثابت خزي المشركين في بدر، وذهاب ريحهم، بشعر يسمق بالروحانية الإيمانية إزاء هذا النّصر المؤزّر بتأييد من الله -جلّ وعلا- يقول:

فمَا نخشى بحول الله قوما
وإن كثروا وأجمعت الزّحوف

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

إذا ما ألبوا جمعًا علينا
كفانا حدّهم ربٌّ رءوف
سَمونا يوم بدر بالعوالي
سراعًا ما تُضعضِعُنا الحتوف
ولكنّا توكلنا وقلنا
مآثرنا ومعقلنا السيوف
لقيناهم بها لمّا سَمُونا
ونحن عصابة وهم ألوف (١٦)

تنزل هذه الأبيات الشّعرية منزلة بيان أو تقرير تاريخي يوثّق غزوة بدر المباركة، فالشاعر هاهنا يقدّم الحقائق كما جرت، من دون أدنى ظلّ للشّك فيها، ودون وشيها بمسحات الخيال، ونعزز رأينا هذا بما أورده النّاقد حسين مجيب المصري، من مواصفات وسمات شعر حسّان بن ثابت يقول "إنّه لا يبالغ تلك المبالغة التي تحجب الحقيقة التّاريخية، كما أنّه لم يبتعد عن الحقيقة في شيء، ولم يكد يهيم في الخيال حتى ينسى واقع الحال إنّ الشّاعر لا يتخيّل ولا يتمثّل، بل يقف بنا على الحقيقة بحذافيرها، فهو يحدّثنا عن غزوة بدر لا يزيد في صفاتها ولا ينقص منها، إلى كونه يتعمّق بنا نفسية المؤمن المجاهد الذي لا يرهب الرّدى، لأنّه مندفع إليه بإيمانه الرّاسخ، وفي يقينه الجازم أنّ الله سوف يؤيّده وينصره."(١٧) وهذا يمنحنا حق الكفاية في التّعرف على أنّ شعر حسّان صادق وواقعي، لا يرتجي التحسين أو التّنميق فيه، وهذه من أهم خصائص شعره رضوان الله تعالى عليه، كذلك دأب الشاعر كعب بن مالك، الذي وُلي وكُرّم بمدح رسول الله صلوات الله عليه وسلامه في غزواته بقطع النّظر عن هجاءه لشانئيه، فكان شعره -رضي الله عنه وأرضاه- شديد الوقع على قريش، يقول ردًّا على ضرار بن الخطّاب(×××) في عزاء قومه من قريش عمّا لحق بهم من هزيمة في بدر:

عجبتُ لأمر الله والله قادر
على ما أراد ليس لله قاهر
قضى الله، بدرًا، أن نلاقي معشراً
بغوا، وسبيل البغي بالناس جائر
وقد حشدوا واستنفروا من يليهم
من النّاس حتى جمعهم متكاثر
وفينا رسول الله، والأوس حوله
له معقل منهم، عزيز وناصر
فلمّا لقيناهم وكل مجاهد
لأصحابه مستبسل النّفس صابر
شهدنا بأنّ الله لا ربّ غيره
وأن رسول الله بالحق ظاهر (١٨)

يحذو كعب بن مالك حذو حسان بن ثابت في تذكيرنا بالمجاهدين المستبسلين في معركة بدر، فيذكر بلغة لا تعدو إلى خيال ما وقع في الغزوة كما وقع، ويقف موقف المؤرخ الفاحص معبّرا عن هذه الموقعة التّاريخية بالشّعر "وهو منوط العناية بالتعبير عمّا يملأ رحاب نفسه من إيمان، ويثبت أن المسلمين يحاربون من يحاربون الله ورسوله، فهم يحتسبون عند الله قتالهم واستشهادهم، ويفخر بأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم بينهم وأنّه عز بمن التفوا حوله ونصروه بعد أن عز لنصر الله، كما وصف نفسية المحارب المؤمن وكيف أنّه يستبسل في القتال من أجل الجنة وكيف يصبر على الألواء والشدة."(١٩)

ويعرّج بنا كتاب "غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية" إلى المراثي التي قيلت في غزوة بدر، وخصّ بذكر مراثي النّساء، نساء قريش، فقد كان لشعرهنّ نصيب ملحوظ من الاستقراء والمكاشفة في هذا الكتاب، بيانًا لما تكبدته المرأة القرشية من لواعج الفقد والفراق، فالنّاقد من على هذه الشّرفة ينظر نظرة تأمّل في شعرهن تزيح اللثام عن الموقف النّسوي من الغزوات والحروب في الأعم، وغزوة بدر خاصّة، فيورد أبياتًا لشاعرة من شواعر العرب تنعي وتبكي أهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر من قريش وتذكر مصابهم، هي صفية بنت مسافر ابن أمية (××××):

يا من لعين قذاها عائر الرمد
حد النّهار وقرن الشمس لم يقد
أخبرت أن سراة الأكرمين معا
قد أحرزتهم منايا إلى أمد
وفر بالقوم أصحاب الرّكاب ولم
تعطف غداتئذ أم على ولد
قومي صفي ولا تنسي قرابتهم
وإن بكيت فما تبكين من بعد

كانوا سقوب سماء البيت فانقصفت فأصبح السمك منها غير ذي عمد(٢٠)

في هذه الأبيات تكابد الشّاعرة حزنها ولوعتها على أهل القليب في مصابهم، ومكمن أنوثتها -ونعني بذلك لمستها الأنثوية في هذه الأبيات- فيما يراه النّاقد "يتجلّى في قولها إنّ القوم حين فرّوا فرت الأم من ولدها، وهذا هول عظيم، ثم تلتفت إلى بيتها الذي خرب بقتل زوجها فتقول إنّ هؤلاء القوم كانوا يعمّرون بيوتهم، وكأنهم عمادها، فبموتهم خرّت سقوف تلك البيوت، لذا فهي تعبّر عن هذا الحزن بالبكاء الذي يعشى العين، إلا أنّ الشاعرة لم تتعرض لوصف القوم الذين تبكيهم على أنّهم كانوا من الشجعان البواسل كما صنع معظم الشعراء الذين رثوا قتلاهم،

فنعدم في شعرها ما كنا نتوقعه من نحيب وعويل وهذا شأن النّساء."(٢١) وهذا ما لم نتلمسه أيضًا عند هند بنت عتبة وهي تبكي أباها القتيل على خلفية واقعة بدر:

أعينيّ جودا بدمع سرب
على خير خندق لم ينقلب
تداعى له رهطه غدوة
بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حدّ أسيافهم
يعلونه بعد ما قاد عطب
يجرونه وعفير التراب
على وجهه عاريا قد سلب
وكان لنا جبلا راسيا
جميل المرأة كثير العشب(٢٢)

يرى حسين مجيب المصري أنّ هند بنت عتبة في رثاء أبيها "تتلو تلو غيرها من الراسين والراسيات في بدء كلامها بالاتجاه إلى العين بالخطاب، ترغب أن تجود بالدّموع السّواجم، ثم تصف القتلة التي قتل بها إلى أن تشبهه بالجبل في قومه، مُريدةً بذلك وصفه برفعة المكانة فيهم، إلاّ أنّها لا تبدي من جزعها عليه ما يستحق الالتفات إليه."(٢٣)، وفي سبيل عقد المقارنة في كلّ ما ورد ذكره، جاز لنا القول: بالنّظر إلى شعر الفخر والهجاء عند كل من حسّان بن ثابت وكعب بن مالك – رضي الله عنهما- وشعر الرّثاء عند الشّاعرتين صفية بنت مسافر وهند بنت عتبة؛ يغلب على شعر الطّرفين الواقعية، وإن كانت مساحات الخيال تنساب طيّعة بين المعاني فذلك من وحي الفطرة، وعاطفة الأنوثة، تميل إلى الاستغراق في الإحساس بالمواقف التي تمر بها، بيد أنّ هاتين الشّاعرتين لم تبالغا في تحسس الفجيعة وعيشها بالنظر إلى هول الجلل والنائب، وعلى الرّغم من أنّ "المرأة العربية في طليعة من بكى واستبكى وندب الموتى."(٢٤) و"ندب الموتى والنواح عليهم هو الصورة الأولى في الرّثاء الجاهلي."(٢٥) ذلك ما لم يتحقق في شعر صفية وهند، وهذا ما يبدو على نحو من الأنحاء صورة من صور التّخطّي والتّجاوز.

هكذا فرّق اللسان العربي وفصل في هجاء الأعداء، رادًّا عاديتهم، منافحًا عن الإسلام والمسلمين، مفاخرًا بالنّصر المطرّز بالنور الملائكي، كاسرًا شوكة الفتن، كافًّا بطشها.

ب- في الشعر التركي القديم:

لا مشاحة أن الإسلام حينما وحّد بين شعوب العالم، توحّدت معه العادات والثقافات كلية تحت لواء لا إله إلا الله محمد رسول الله، واجتمعت المشاعر الإسلامية وتأثّر بعضها ببعض، فكانت آداب الأمة الإسلامية وفنونها تتفاعل وتتحاور فيما بينها، ولا يقتصر الأمر في التّعرض لغزوة بدر على آداب العرب وحدهم، بل تشرّفت الآداب التركية أيضا خاصّة فن الشعر منها، بالتّغني بغزوة بدر الجليلة، نظرًا لوقعها المهاب في نفوس المسلمين، وأول من نذكر من شعرائهم القدامى الذين اختصوا بذكر المغازي، يازجي أوغلو محمد(×)في محمديته(××) الطويلة التي تفرّد فيها وتفنّن بسرد سيرة خير الأنام صلاة الله وسلامه عليه، و"يذكر ولادته ويجري عليه صفاته، كما يصف معراجه وهجرته ومعجزاته، وهو في كلامه يعرّج على ذكر زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعض أصحابه وكل ما يتصل بذلك من طرف، ممّا يجعل الكتاب متصفًا بكتب السيرة."(٢٦) لكنّ جلّ ما يعنينا في هذا المقام ما جاء من شعره عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ونخص بالذكر غزوة بدر، يقول الشّاعر ذاكرًا جميع الغزوات في أبيات تمهيدية لفصل من فصول المحمدية:

(ألقِ سمعًا، يا طول ما فتح الدنيا هذا الرسول، بعد فتحه بحجته فتح بالسيف المسلول، إنّه الدّين على العالمين أعلن، فكأنما أظهر نورا في السحاب، عشرين مرة غزا الكفار، في ست وخمسين حرب سحقهم بصحبة الأبرار، في تسع بنفسه على القتال أقدم، وفي بدر هام العدو حطّم، وفي أحد قاتل ولكن أعنف قتال وفي الخندق إياه رب من عدوه أدال، الرابعة بنو قريظة، الخامسة بنو المصطلق(×) والسادسة خيبر، وفيها إلى عدوّه انطلق، والسابعة فتح مكة، وفي الثامنة كان له الغلاب، وفيها أحال الكفار إلى كومة من تراب، والتاسعة الطائف وبها في القتال ساهم، وفي التسع حومة الوغى اقتحم.) (٢٧) في هذه الطائفة من الأبيات يأتي الشّاعر على ذكر غزوات الرّسول صلى الله عليه وسلم تباعًا، وعلى ما يبدو أن السبب الذي حدا بالشاعر إلى رصف هذه الغزوات على التوالي هو فخره واعتزازه بنصرة دين الله ورسوله الأكرم على عاتية الكفر هذا من جانب، ومن جانب آخر لمقصد تعليمي، حيث يرى النّاقد حسين مجيب المصري، أن هذا الشاعر من خلال هذه الأبيات "يبدو تعليمي النّزعة، أي إن غاية مطلوبه منها نزعة تعليمية يحرص كل الحرص عليها، فإنه يبدأ بقوله (ألق سمعا)، يرسم لنا صورة لمعلم يريد بمن يعلمه أن يتعلمه منه ما لم يكن يعلم، إنه

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

يجتذبه إلى كلامه الذي يرغب أن يتلقاه منه ويعيه عنه، إنه لا يريد تحسين الكلام ولا التّأنق فيه، بل حسبه أن يسمي الغزوات بأسمائها ويذكرها بترتيبها وذلك لترسخ في حفظ من يجلس منه مجلس التلميذ، أو من ينظر في كلامه، وشأنه شأن التّلميذ."

(٢٨) وهنا نتلمس قضية الفاعلية إحدى قضايا نظرية التّلقي في النّقد الأدبي، فالشاعر ينشد تلقيًّا وتقبلاً لخطابه هذا عن طريق جمهور المخاطبين.

ويورد الناقد حسين مجيب المصري ملمحًا آخر من شعر يازجي أوغلو يأتي داعيًا الله عز وجل على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم في صورة محاورة بين طرفين سؤالاً واستجابة يقول؛ "ربّاه أنت المقصود بالسؤال في كل أمر وفي يد قدرتك الفلك والجنة كما البشر، ما كان لأمرك من صنع، وليس لعلمك قط من جمع، ثم قال له ذو الجلال أنا في عونك لا أزال، بالنّصر زفّ البشرى إلى المؤمنين، فقد ألقيت الرعب منك في قلوب الكافرين، من الكافرين عليك تضريب الأعناق، ولا تأمنهم منك على هامة ولا على ساق، ذلك جزاء وفاق على من ناصب الله العداء ومن أراد برسوله إيذاء."(٢٩) من الواضح أنّ هذه الأبيات تتناص مع القرآن الكريم في قوله جلّ وعلا : ﴿ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلّة فاتقوا الله لعلكم تشكرون× إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين× بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين× وما جعله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلاّ من عند الله العزيز الحكيم﴾(٣٠)وفي قوله: ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانًا ومأواهم النّار وبئس مثوى الظالمين﴾(٣١) فيما يبدو أنّ هذا الشّاعر يتّكئ إلى خلفية دينية أساساها الذكر الحكيم، مستمدًّا منها الحجج القاطعة التي لا تحتمل تأويلاً أو تعارضًا، لأمر الله الموحى إلى رسوله، ويرى صاحب الكتاب أنّ الشاعر في هذه الأبيات "يلتفت إلى المعنى ولا يلتفت -ولا يكاد- إلى اللفظ، إنّه يريد ليؤكّد أنّ النّصر في هذه الغزوة من عند الله، فبعد أن ذكر أن الله أنزل عليه الملائكة ليحاربوا المشركين معه شاء أن يبين موقفه صلى الله عليه وسلم على أنّه ليس المحارب البادئ بالعدوان بل المحارب الذي يمتثل لأمر الله، وهذا ملحظ لم يتفطن إليه أحد ممن وصفوا المغازي في شعر لهم."(٣٢) وهنا يتسع المجال في تصور أنّ هذا الشّاعر إنّما يركّز على تلك الروحانية الإيمانية المعجزة التي خصّ بها الله عزّ وجل هذه الغزوة بالذّات، حينما استغاث الرسول صلى الله عليه وسلم ربه في شدّته، فكانت الإجابة راضية مرضية وبشرى للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، ومن معه من المؤمنين المرابطين، وهذا الشاعر "يكاد ينفرد بهذا الشعور نحو الغزوات لأنّ غيره لم يلتفت جديًّا إلى ذلك الملحظ، وهذا ما يؤيّد أنّه في منظومته تلك يتلو تلو من ينظمون المولد أي أنّ ما يذكره الشعراء في المولد، ليس مجرّد سرد تاريخي للسيرة النبوية وإنّما يقرنون ذلك بشعور الشاعر نحو نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم فهم يناجونه ويرغبون إليه في الشفاعة، وهذا من قبيل تلك الروحانية التي نجدها عند يازجي أوغلو."(٣٣) ومن خلال هذه المحطة يصل الناقد حسين مجيب المصري إلى نهاية الحديث عن غزوة بدر في الشعر التركي القديم، فذلك جل ما استطاع أن يصل إليه الرجل والإحاطة به من الشعر التّركي القديم، كذلك هو الأمر مع الشّعر الأوردي القديم، فلم يكن البحث طيّعًا بما فيه الكفاية للإحاطة بشعراء (لاهور) و(بلاد الفرس) وما نظموه من أشعار حول مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، إلاّ انّه يذكر شاعرًا من شعراء الأوردية يدعى (شيدا) صاحب مثنوى(×) بعنوان (إعجاز أحمدي) والتي خصّها الشاعر بذكر سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ووصف مغازيه على أنها جزء لا يتجزّأ منها، وشاعر آخر من شعراء الأوردية يدعى (محمد باقر آكاه) وله مثنوى بعنوان (هشت بهشت)(××) "وفيه يدور كلامه عن معجزات الأنبياء قاطبة ويؤكّد أفضلية محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، كما يذكر الآخرة وعذاب القبر إضافة إلى حديث طويل عن السيرة النبوية وما تضمنته من ذكر ووصف للمغازي."(٣٤) والنّاقد في هذا المقام يبدي أسفه الشديد أنّه لم يطّلع على هذين الكتابين، إلا أن ذكرهما كان أمرا لا مندوحة منه، كونهما باكورة فن شعري وجد من بعد من توفر عليه وأتقنه فكان لزاما عليه أن يشير لهذين الكتابين على أنهما كانا في الأغلب مثلين احتذى بهما أكثر من شاعر حديث فيما بعد.

ثانيًا: غزوة بدر في الشعر العربي والتركي والأوردي الحديث:

ما من ريب أنّ عالمية الدّين

الإسلامي، خولته أن يكون له الأثر شاسع المدى داخل لحمة المجتمعات الإسلامية، وفي تشكيل نفسياتهم وعقليتهم، وبالتّالي في تعبيرهم الأدبي على نحو من الأنحاء، وبما أنّ هذا الدّين يخاطب العالم أجمع، وهو في خطابه هذا يتعدّى حدود المكان والزّمان، فمن المؤكّد أن الإبداع الأدبي أيضاً يتجاوز نطاق الزمكانية، ولأنّه مجال مفتوح وديناميكي، فإنّه يتأثّر بمختلف القضايا والأيديولوجيات على رأسها الدّين، ومن الشّعر القديم إلى الشعر الحديث نسعى من خلال هذا الكتاب الذي بين أيدينا لمكاشفة ما نظمه شعراء الشعوب الإسلامية المحدثون عن عزوة بدر الملهمة، وأول ما يقال في هذا الشأن خاصًّا بالشعر العربي الحديث.

أ- في الشعر العربي الحديث:

إذا ما تمثّلنا ما يحفظ وجدان الشعر العربي الحديث، من شعر حول مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم خطر بالبال جمهرة من شعراء العرب المحدثين، في طليعتهم الشاعر محمود سامي البارودي، بميميته الشهيرة "كشف الغمة في مدح سيد الأمّة" والتي تقع في "أربع مائة وسبعة وأربعين بيتًا، وقد نظمها في المنفى وعرض فيها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم من لدن مولده إلى انتقاله إلى جوار ربه."(٣٥) ونتجاوز ما ذكر في الميمية من لحظة ولادة النبي إلى غاية هجرته عليه الصلاة والسلام بيتًا بعد بيت حتّى نخلص إلى الأبيات التي تناول فيها البارودي غزوة بدر وذلك من قوله:

ويمم المصطفى بدرًا فلاح له
بدر من البصر جلى ظلمة الوخم
يوم تبسّم فيه الدّين وانهملت
على الضلال عيون الشرك بالسجم
أبلى علي به خير البلاء بما
حباه ذو العرش من بأس ومن همم
وجال حمزة بالصمصام يكسوهم
فالهام للبيض والأبدان للرخم
كأنما البيض بالأيدي صوالجة
يلعبن في ساحة الهيجاء بالقمم
لم يبق منهم غير مجندل
على الرغام وعضو غير منحطم (٣٦)

يثني النّاقد ثناء حسنًا عن روعة هذه الأبيات في تصوير رحى معركة بدر، ويصف هذه الأبيات بالواقعية وأنها لا تعدو إلى الخيال المطلق، بل ذلك الخيال - كما وصفه الناقد- التقريري الذي لا يعارض الحقيقة في شيء ولا يتجاوزها قط، والنّاظر إلى هذه الأبيات يجد معجمها الشعري يميل بعض الشيء إلى الثقافة التركية والفارسية، ويتجلى ذلك في استخدامه لألفاظ (الصوالج والكرات) وهنا يظهر تأثره بهاتين الثقافتين، ولا يعد ذلك ضربًا بعيدا عن المألوف، فالبارودي كان "شاعرًا مطبوعًا تثقف بآداب الفرس والتّرك."(٣٧) وهو بذلك شاعر مجيد، وشاهد صدق على ما يعجّ به التاريخ من حمولات سياسية وثقافية ودينية، استطاع ترويض تاريخ غزوة بدر ومجرياتها في القالب الشعري، وتمكّن من تطويع اللغة الشعرية خدمة لسيرته النبوية الجليلة ومغازيه البطولية عليه أفضل الصلاة والسلام.

ومدار حديثنا بعد الشاعر البارودي، إلى شاعر آخر من الشعراء المحدثين، هو أحمد محرّم(×) "أحد الشعراء الذين نهضوا برسالة الشعر بعد البارودي إلى جانب شوقي، وحافظ إبراهيم، وخليل مطران."(٣٨) وهو صاحب ديوان (مجد الإسلام) الذي خصّه بسرد سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشهر غزواته، وبطولات أصحابه، وما ماجت به حياتهم من أحداث، ويلتفت النّاقد إلى وصف شعره مُشيدًا ومعجبًا به أيما إعجاب، ومن قوله في هذا الشّأن "شعره (أي أحمد محرم) متين السبك، وله القدرة على أن يعبّر عن الحقائق التّاريخية، في أسلوب شعري لا يصرف الحقائق عن وجهها، بل يكسبها أثرا له موضعه في أغوار النّفوس، فهو لا يهيم في الخيال والمجاز إلا بمقدار مما يجعل من كتابه سجلاً لما ذكر فيه من أحداث يعتمد عليها ويرجع إليها."(٣٩) ويمكن أن نظفر من خلال هذا الموقف النّقدي أنّ كلام الشّاعر على قدر المعنى، ولا يسمق إلى شطحات الخيال حتى يتجاوز الحقيقة ويحجبها، هذا ويفرّق النّاقد أي فرق بين الشاعر أحمد محرم وحسان بن ثابت فيما يتعلّق بنبرة الحماسة والجرأة في شعره، يقول "فهذه نبرة لا عهد لنا بمثلها فيما أسلفنا فيه من شعر حسان بن ثابت مثلا الذي كان يقرر الواقع بل يؤرخه وكفى، لم يكن له من الحماسة أو الجرأة ما يتجه به النبي صلى الله عليه وسلم حاثًا له على قتال المشركين، بل كان حسبه أن يقف موقف المدافع وأن يصرف على النبي وعن رجاله أذى أعدائه، ولكن أحمد محرم لا يتمالك نفسه من الهتاف برسول الله صلى الله عليه وسلم راغبا إليه أن يحارب من أرادوا له كيدا مبينا أن السيف وحده هو الذي يصرف شرّهم عنه."(٤٠) ويحسن بنا بعد هذه الدّيباجة أن نورد شاهدا من شواهد الشعر الذي نظم في شأن غزوة

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

بدر، وحسبنا في ذلك أن نضيء جانبًا ضئيلا من بحر شعره البديع الذي خصّه بغزوة بدر الجليلة، يقول أحمد محرّم في شهداء بدر:

شهداء بدر أنتم المثل الذي
المدى بعد المدى فتناهى
علمتم الناس الكفاح فأقبلوا
ملء الحوادث يدفعون أذاها
أمّا الفداء فقد قضيتم حقّه
وجعلتموه شريعة نرضاها
لولا الدّماء تراق ما نرى أمة
بلغت من المجد العريض مداها
كم أمة لم تُوقَ عادية الوغى
لولا الذي اقتحم الرّدى فوقاها
ما أكرم الأبطال يوم تفيئوا
ظلل المنايا يبتغون جناها
راحوا من الدّم في مطارف أشرقت
حمر الجراح بها فكن حلاها
هم عند ربّك يرزقون فحيّيهم
وصف الحياة لأنفس تهواها (٤١)

قيلت هذه الطائفة من الأبيات في شهداء بدر، ومن الواضح أن "الشاعر أحسن في التّعريف بهؤلاء الصرعى في بدر، فبعد أن صرّح بأن مثواهم الجنة، ودافعوا عن دين الحق، استطرد إلى ذكر المحاربين في شمول وشرح معنى أن يخرّ محاربًا صريعًا إذا كان قتاله مسعى منه في الذود عن حق أو الدّفاع عن ضيم وبمثل هذا من قوله يبرر تلك المغازي التي خفيت بواعثها عند بعض من كلّت أفواههم، عن إدراك مغزاها فقالوا عنها ما لا يقال وطمسوا الحق بالباطل وجاءوا بالأراجيف والمفتريات."(٤٢) ويفتح النّاقد مجالاً للمقارنة بين شعر البارودي وأحمد محرّم فيقول "نجد أنّ البارودي ذكر الغزوات مؤرّخًا لها، ولكن أحمد محرّم يبسط مفصل الكلام في ذكرها ويعقّب في الأحايين برأي يدلي به مستطردا من الجزئيات إلى الكليات، وله نزعة تعليمية، أي إنّه يتلمّس موضع العبرة في الغزوات ليطلع الشباب على ما يريد أن يحثّهم عليه، ويحيطهم علما به من شأن الإسلام وقيمه ومثله، وكتابه هذا (مجد الإسلام) كتاب تاريخ منظوم لأنّ صاحبه يعقد في الأبواب ويرتّب الفصول، وهذا ما ينأى به عن أن يكون قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم كقصيدة "كشف الغمة في مدح سيد الأمة " للبارودي."(٤٣) وبهذه المكاشفة والمقارنة الموجزة ينتهي بنا الحال إلى إماطة اللثام عمّا حفظته ذاكرة الشعر التركي الحديث وما نظمه الشعراء عن غزوة بدر.

ب- في الشعر التركي الحديث:

يأبى الأدب المقارن إلاّ أن يختزل المسافات، ويؤلّف بين الوجدانات، فمن الشعر العربي الحديث هاهو ذا يحطّ رحاله على بساط الشعر التركي الحديث، غايته في ذلك توحيد التّجارب الإبداعية الشعرية بما تكرّمت به من ذكر لسيرته العطرة صلوات الله وسلامه عليه، فحريّ بنا أن نلتفت للشعراء الذين تناولوا المغازي في الشعر التركي الحديث، ويأتي في طليعتهم الشاعر نجيب فاضل(٤٤) في مجموعته الشعرية بعنوان (السلام)، يذكر غزوة بدر مُفاخرًا:

(أعظِم بها إنّها ببدر تشتهر، ما رأى لها من نظير في الجهاد بشر، ولو صَغُرَتْ فإنّها بغزوة الدّعوة كُرِّمَتْ، يا لها السيف الذي سل أول ما سل والرحمة التي أشرقت، في سيفها كرامة جرحت، في بدر حشود الكفار أصبحت هباءً منثورا، وبدر أول عمود يشدخ رأسا كسيرا.)(٤٥) ويظهر الشّاعر من خلال هذه الأبيات "منفعلاً كمؤمن يقول ويصف ما يصف، إلاّ أنّ لا يملك كتمانًا لعاطفته الإنسانية وحميّته الإسلامية، إنّه يصف هذه المعركة وصفا خاصًّا يعبّر فيه عن رأي وفكر، كمل يعبّر عن عاطفة وعن شعور بالفخر، ونعني به أنّه يفخر بتلك المعركة لأنها كانت نصرًا للمسلمين، كما أنّها رفعت عنهم ما كانوا يكابدون ويعانون في صلتهم بالمشركين."(٤٦) ويبلغ النّاقد حسين مجيب المصري مبلغه من إعجابه بتصوير الشاعر معركة بدر وهي دائرة الرّحى حامية الوطيس في قوله:

(وعن بدر كان للمسافرين انطلاق، في الرّيح تسمع لهم أصداءهم من الأعلى، للخيول صهيل لا لسهام صفير، وللتكبير هدير.)(٤٧) ويلخّص النّاقد خصائص شعر نجيب فاضل على وجه العموم فيقول "إنّ الشاعر يناطق العقول ولا يركن إلى ما يعرف بالتمثيل البياني أي المبالغة في الخيال والتباعد عن الواقع، ومحاولة شرح الحقائق بالمجاز، إنّ الشاعر صدوق اللسان في كل ما قال، فما ذكر كلامًا فوق المستحيل، وهذا البرهان على أنّه جعل شعره على وفق الغرض الذي التزمه، وهو أن يجعل منه كلاما للناس على تفاوتهم في ثقافتهم، وإنّما يريد هدايتهم إلى الدين القويم."(٤٨)

ويعرّج بنا النّاقد إلى النظر في شعر شاعر تركي آخر لا يقلّ شأنًا عن نجيب فاضل، له قامته وبصمته في الشعر التركي الحديث هو سزائي قراقوج "من الشعراء

الذين يمثلون الاتجاه الإسلامي الحديث (ولد عام ١٩٣٣م) الذي كان يهاجم الأدب التركي المعاصر لعدم اتباعه طريق القرآن القويم، ووصفه هو الآخر بأنه أدب مستورد، وبأنه أدب الخوف، وكان سزائي يعتقد أن الأدب الإسلامي هو أدب لكل الإنسانية."(٤٩) وما يعنينا في هذا المقام من أدب سزائي قراقوج هو شعره الذي عناه بغزوات الرّسول صلى الله عليه وسلم وينظر النّاقد حسين مجيب المصري مليًّا في شعره الغزير، فتقع عينه على بعضه، وهذا من قوله في وصف غزوتي بدر والخندق:

سيوف بدر في الصلاة تلتمع
وشرر الخندق يحوطه ويرتفع
لو لم يكن ثمة من سياج يقي
وباب إلى مكة غير مطبق
في بدر قتل الأخ أخاه العنيد
ولكن ظهر من بعد إخاء صدوق جديد
(٥٠)

يعبّر الشاعر في هذا المشهد الشعري بحماسة "وهو مزهو بحفر ذلك الخندق الذي كان سببا في نصرة المؤمنين، لقد جعله سياجًا يدفع عن الأبرار عادية الكفار، ثم تخيّل ما ترتّب على تلك الغزوة إلى أن بلغ بخياله فتح مكّة، ويعود إلى بدر فيخطر على باله ما كان من مواجهة أبي بكر لولده، ويترتب عن ذلك فكرة يريد التعريف بها ونشرها، فيجعل من تلك المواجهة مثالاً للأخ الذي يواجه أخاه في ساحة الوغى بقطع النّظر عمّا بينهما من رحم واشجة، ولقد صوّر الغزوتين تصويرًا رائعًا، وإن لم يتعارض كلامه في شيء عما تحدّث به الرّواة وبذاك حقق الغاية التي شاء تحقيقها من شعره."(٥١) وكفى بما أسلفنا ذكرًا أنّ نقيم برهانا أنّ الشعر التركي الحديث تشرّف باحتضان غزوة بدر العظيمة.

ج- في الشعر الأوردي الحديث:

إننا نشهد وفرة وغزارة في الشعر الأوردي الحديث ذلك الذي يختص بغزوات الرّسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، وبالأخص عند شاعرين هما (جلندري و جعفري) فقد نظم كل منهما في الغزوات ضمن كتابين منظومين لهما فذكرا الغزوات طويلا بل وتفصيلاً بحسب ما أشار إليه النّاقد، وحفيظ جالندري "من شعراء الطّليعة في الأوردية من مواليد (عام ١٩٠٠م) وشعره مميز بالجدّة، لأنّ له طابعًا يخرج به عن المألوف، كما أنّه خصب الخيال، تغنى بوصف الطّبيعة على نحو خاص، لأنّه نظر فيها نظرة تدبر وتفكّر، وعبّر عن إثارتها في نفسه التّأمل في قدرة الباري، وبعثته على النّظر في خلق الكون بما وسع، إنه يذهب مذهب الصوفية في اعتقادهم أن جمال الطبيعة منبثق من جمال الله، ومن وصف محاسنها سبّح الله."(٥٢) ويستعير النّاقد من منظومة (شاهنامه الإسلام) لحفيظ جلندري؛ - التي يورد فيها موقعة بدر في مجلّد قائم بذاته- شواهدًا شعرية يبتغي وضعها تحت مجهر الفحص والتمحيص مستخلصا المكامن الجمالية والثقافية الثاوية داخلها، ويختار النّاقد قوله:

عززنا بفضل جهاد لنا
أطعنا صبرنا ونلنا المنى
قرآننا منه نعم الدّليل
فنصر ببدر عديم المثيل
وفي سورة جاء هذا الخبر
ملائكة أنزلت كالمطر
وما كان حول لأهل اليقين
ولكنّهم بدّدوا المشركين
مضت فئة ما لها من حسام
وغير الشهادة ما من مرام (٥٣)

ففي هذه الطّائفة من الأبيات يذكر موقعة بدر، ويرى النّاقد حسين مجيب المصري، أنّ كلام الشاعر عن موقعة بدر "كلام مسلم مؤتلق القلب بالإيمان، فضلاً عن أنّه يُتحدّث عنها حديث من يفخر بها فخره بما كان للمسلمين من فضل في ماضي الزّمن، إنّه يتحدّث بلسان الجماعة مبيّنًا بذلك أنّ يريد لينطق عن المسلمين أجمعين، لأنّه إنّما اغتنى بمناقبهم ومحامدهم، ويريد ليطلع الأجيال الخالقة في الزّمن الحاضر على تاريخ الأجيال السالفة في الزمان الغابر، إنّ معتز بهذه الغزوة على أنّها كانت النّصر المبين للمؤمنين على المشركين، ولا يفوته أن يُذكّر أو يعرّف من جهل بأن هذه الغزوة ذكرت في كتاب الله الكريم وأنّ الله أنزل ملائكته ليشدّوا أزر المسلمين وبذلك تتجلّى المعجزة."(٥٤) كما أنّ الملاحظ لهذه الأبيات الشعرية، يجد الشاعر يتكلّم بصيغة الجماعة كأنّما عايش الموقعة مباشرة من ساحة الوغى، أو لعلّ مقصده من ذلك جعل القارئ يتحسس أنّ غزوة بدر ونصر بدر هو نصر للمسلمين قاطبة وليس حكرًا على مسلمي ذلك الزّمان، أو لربّما هي أمنية دفينة في خلده في أن يكون مكان أحد المجاهدين البواسل في تلك الغزوة إلى جوار النبي صلى الله عليه وسلم .

ويمضي بنا الحال إلى الحديث عن شاعر آخر من شعراء الأوردية هو"سيد

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

منير علي جعفري، صاحب منظومة (تاريخ الإسلام) ولد (عام ١٩٣٧م) وهو ينحدر من أسرة جل أفرادها أهل علم وفضل، فكان لذلك أثره في شخصيته وسلوكياته ومجرى حياته."(٥٥) ويسعى الشاّعر مفاخرًا ومعتزًّا بغزوة بدر المجيدة، كغيره من الشعراء الذين سلف ذكرهم، إلاّ أنّ أهم ما يستوقفنا في شعره حديثه عن قضية أسرى بدر "وما كان من عفوه صلى الله عليه وسلم عنهم تكرّما، وانفرد بهذا من رأيه حين أشار عمر بن الخطاب بقتلهم، وهنا نلمح الفارق بين اللين والعنف والنبي صلى الله عليه وسلم، وهو يعرض الأسوة، وهو كذلك يشير إلى أبي بكر الصديق كان رأيه وسطًا إلا أنه حبّذ الفدية على أن تكون بالمال أو تعليم عشرة من أبناء المسلمين، وبذلك يوقفنا على ثلاث شخصيات لم يتّفقوا على كلمة، وأتاح لنا أن نعلل ما كان لهذه الشخصيات من تخالف وتباين، ويمدّنا بالدّقائق والحذافير التي نخرج بها من تاريخ الإسلام يقول:

نبي الأنام يحبّ عمر
ولكن بقول العتيق أمر
فخلا سبيلا لهم من كرم
وقال ادفعوا فدية لا جرم
ألا إنها فدية من كرم
من العلم أنصاره ما حرم
بتعليمهم كل من قد نطق
من الأسر توًّا نجا وانعتق (٥٦)

وبالنّظر إلى شعر العربية والتركية والأوردية، لا نجد من التفت إلى هذا الصنيع إلاّه (جعفري) "الذي عرفنا عنه اشتغاله بالفلسفة ومعالجته النّظر في قضايا الفكر والعلم مما حمله على أن يذكر هذه المكرمة وينسبها إلى النّبي صلى الله عليه وسلم وهي تدلّ على كثير لذلك جعل مسك الختام لما ذكره عن غزوة بدر."(٥٧) وبهذين الشاعرين (جلندري وجعفري) نختم مجمل ما وثّقه الشعر الأوردي الحديث عن غزوة بدر المجيدة.

حريٌّ بنا أن نذكر في نهاية المطاف أنّ النّاقد حسين مجيب المصري عبر هذه المكاشفة غير المسبوقة، استطاع أن يميط اللثام عن نظرة شعراء الشعوب الإسلامية لإحدى غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ونخص بالذّكر غزوة بدر المباركة، وتفاعلهم معها، وهو بهذا الصّنيع يضيء عتمة كثير من القرّاء ويلفتهم إلى جانب من جوانب الحضارة الإسلامية، هو الأدب الإسلامي، مبيّنًا قدرته المذهلة في توحيد المشاعر والتّجارب تحت كنف الإسلام،والنّظم في شأن هذه الغزوة وغيرها من غزواته المجيدة عليه الصلاة والسلام، قاطع الدّلالة على أنّ هذا النّظم يقيم لها كيانًا مقدّسًا عند شعراء الشعوب الإسلامية.

الهوامش:

١ الطاهر أحمد مكي، مقدّمة في الأدب الإسلامي المقارن، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الهرم، القاهرة، ط١ ١٩٩٤، ص ٠٣.

٢ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

٣ المرجع السابق، ص ٠٣.

٤ المرجع السابق، ص ٠٣.

٥ الطاهر أحمد مكي، مقدّمة في الأدب الإسلامي المقارن، ص ٠٤.

٦ المرجع السابق، ص ٠٦.

٧ البخاري (حدبث ٣٥٢١)، مسلم (حديث ٢٤٨٩ - ٢٤٩٠)، نقلا عن: مصطفى بن العدوي، فقه الأخلاق والمعاملات بين المؤمنين مج١، دار ابن رجب، القاهرة، (د ط)، ٢٠١٠، ص ٣٦٤-٣٦٥.

(×) (حبيب السير) لصاحبه خواند مير (ت.و٨٨١- ٩٤٠ه) مؤرّخ وشاعر فارسي.

٨ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية (دراسة في الأدب الإسلامي المقارن)، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ص ٣٣.

(××) علي التهانوي، كاتب وعالم هندي (ت.و١١٩١ه).

٩ المرجع السابق، ص ٣٨.

١٠ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلّم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ٤٨.

١١ المرجع السابق، ص ٥٤.

١٢ محمد أحمد باشميل، موسوعة الغزوات الكبرى (من معارك الإسلام الفاصلة غزوة بدر)، ج١، المكتبة السّلفية، القاهرة، ط٨ ١٩٨٥، ص ٠٦.

١٣ سورة الأنفال، الآية: ٠٩

١٤ سورة التوبة، الآية: ٤٠.

١٥ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ٧١.

١٦ حسّان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تح: سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، ١٩٨٣، ص ٢٦٦.

١٧ المرجع السابق، ص ٥٦ – ٦٤.

(×××) ضرار بن الخطاب بن مرداس القرشي الفهري؛ من فرسان قريش وشعرائها، وأسلم يوم الفتح (فتح مكة). ينظر: ابن عبد البر القرطبي، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ج١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٣٨٢ه، ص ٣٣٧.

١٨ كعب بن مالك الأنصاري، ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تح: سامي مكي العاني، منشورات مكتبة النّهضة، بغداد، ط١ ١٩٦٦، ص ٢٤٠- ٢٤١.

١٩ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب المسلمة، ص ٧٢.

(××××) صفية بنت مسافر بنت أبي عمرو بن أمية؛ شاعرة من شواعر العرب (قريش). ينظر: عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ج٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص ٣٤٩.

٢٠حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ٨٣.

٢١ المرجع نفسه، ص ٧٤.

٢٢ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ٧٥- ٧٦.

٢٣ المرجع نفسه، ص ٧٦.

٢٤ لويس شيخو اليسوعي، أنيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ط١، ١٨٩٦، ص٠٣.

٢٥ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ٧٥.

(×) يازجي أوغلو محمد (ت.و ١٤٥١م)، شاعر تركي صاحب منظومة (المحمدية) تقع في قريب من تسعة آلاف ومائة وتسعة عشر بيتًا، ينظر: حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١٣٩.

(××) المحمدية؛ منظومة على نسق المولد، والمولد منظومة فيها سرد للسيرة النبوية العطرة مع تعبير المسلم عن عاطفة المحبة نحوه.ينظر: المرجع نفسه، ص ١٤٠.

٢٦ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١٤٠.

(×) غزوة بنو المصطلق من خزاعة، وقال البخاري هي غزوة المريسيع، ما بين (٤ و ٦ ه) والمريسيع ماء لبني خزاعة بينه وبين الفرع مسيرة يوم، مأخوذ من قولهم؛ رسعت عين الرّجل إذا دمعت من فساد. ينظر: إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية ج٤، مكتبة المعارف، بيروت، (د ط)، ١٩٩٠، ص ١٧٨.

٢٧ حسين مجيب المصري، المرجع السابق، ص ١٤١.

٢٨ المرجع نفسه، ص١٤١-١٤٢.

٢٩ المرجع السابق، ص ١٤٢-١٤٣.

٣٠ سورة آل عمران، الآية ١٢٣-١٢٦.

٣١ سورة آل عمران، الآية ١٥١.

٣٢ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١٤٤.

٣٣ المرجع السابق، ص ١٤٣.

(×) مثنوى؛ منظومة شعرية يتّفق فيها روي الشطرين ولا يلتزم في بقية المنظومة، ينظر: حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١٧٧.

(××) هشت بهشت بمعنى؛ ثماني جنّات.

٣٤ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١٧٨.

٣٥ ينظر: نفوسة زكريا سعيد، البارودي حياته وشعره،تق: محد مصطفى هدارة، مطابع جريدة السفير، الإسكندرية، القاهرة (د ط)، ١٩٩٢، ص ٢٠٣.

٣٦ محمود سامي البارودي، كشف الغمة في مدح سيد الأمة، مطبعة الجريدة، مصر، ١٣٢٧ه، ص ٢٧.

٣٧ ينظر: محمد صبري، أدب وتاريخ واجتماع، (د ط)، (د ن)، ١٩٥٠، ص ٥٥.

(×) الشاعر أحمد محرم؛ (ت.م ١٨٧٧- ت.و١٩٤٥) الملقب ب شاعر العروبة والإسلام ، ينظر: حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١١٦.

٣٨ محمد إبراهيم الجيوشي، شاعر العروبة والإسلام، (د ط)، (د ن)، ١٩٦١، ص ٥٢.

٣٩ حسين مجيب المصري، المرجع السابق، ص ١١٧.

٤٠ الرجع نفسه، ص ١١٩.

٤١ أحمد محرم، ديوان مجد الإسلام، (د ط) (د ن)، ١٩٣٦، ص ١١٣.

٤٢ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١٢٤.

٤٣ المرجع نفسه، ص ١٢٥-١٣٤.

٤٤ نجيب فاضل (ت.و ١٩٤٨م)؛ شاعر تركي حديث، وهو لأسرة لها حيثياتها العلمية والاجتماعية، لأن أباه كان رجل قانون، وجده أيضا، ينظر حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١٥٦.

٤٥ المرجع نفسه، ص ١٥٨.

٤٦ نفسه، ص. ن.

٤٧ نفسه، ص ١٦٠.

٤٨ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١٦٠.

٤٩ محمد عبد اللطيف هريدي، الأدب التركي الإسلامي، مركز بحوث جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٩٨٧، ص ٢٩٨.

٥٠ حسين مجيب المصري، المرجع السابق، ص ١٦٨.

٥١ المرجع نفسه، ص ١٦٩.

٥٢ نفسه، ١٧٩.

٥٣ حسين مجيب المصري، غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم بين شعراء الشعوب الإسلامية، ص ١٨٢.

٥٤ نفسه، ص.ن.

٥٥ نفسه، ص ١٨٧.

٥٦ نفسه، ص ١٨٩.

٥٧ نفسه، ص.ن.

ISBN: 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2